

برهان الدين ابن فرحون المالكي

تراجم مختصرة لأشهرعلماء السادة المالكية

إعداد

المصطفى مرتاجي

مركز الإمام مالك الإلكتروني

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام وأله وصحبه.

وبعد: فهذه ترجمة مختصرة للقاضي برهان الدين ابن فرحون المالكي من خلالها سأعرف به من جوانب شتى بدء بعصره، لأن هناك عملية تأثر وتأثير بين الشخص ومحيطه الزماني والمكاني، ثم مرورا بأسرته ونشأته العلمية، وفي الأخير عطاءاته وجهوده في خدمة المذهب المالكي.

فالقاضي ابن فرحون رحمه الله نموذج للعالم الذي زود المكتبة المالكية بكتابات لها طابع القرن الثامن وما قبله وهو الانكباب على الموروث العلمي وإعادة صياغته، وهو ما ظهر لي حينما كتبت عن منهج كتابه تبصرة الحكام إذ جعله جامعا لمجهودات علماء سبقوه وأعاد حياكتها وفق متطلبات ظرفه فبوبه تبويبا محكما.

وللحديث عن حياة القاضي ابن فرحون رحمه الله إلى وفاته يمكن اتباع المنهجية الآتية:

المبحث الأول: عصر ابن فرحون.

المطلب الأول: عصره سياسيا.

المطلب الثاني: عصره اجتماعيا.

المطلب الثالث: عصره فكريا.

المبحث الثاني: ترجمة مختصرة لابن فرحون.

المطلب الأول: ولادته واسمه.

المطلب الثاني : نسبه وأسرته.

المطلب الثالث : صفاته وأخلاقه .

المبحث الثالث:النشأة العلمية لابن فرحون، وتكوينه الفكري .

المطلب الأول : شيوخه .

المطلب الثاني : الآثار العلمية لابن فرحون.

الفرع الأول: تلامذته.

الفرع الثاني : مؤلفاته.

الفرع الثالث: وفاته .

المبحث الأول: عصر ابن فرحون.

يكمن الحديث عن عصر ابن فرحون من خلال جوانب ثلاث، وهي الجانب السياسي والجانب الفكري ثم الجانب الاجتماعي. وسأتناول في هذا المطلب هذه الجوانب بإيجاز.

المطلب الأول: عصره سياسيا.

عاش برهان الدين ابن فرحون في القرن الثامن الهجري الذي اتسم بالاضطراب والتحول والتفكك الذي يمزق أوصال العالم الإسلامي، ويجعل بعض أجزائه عرضة لهجمات الأعداء[1]، ومن هنا فسنلقي نظرة على العالم العربي بالخصوص وذلك بتقسيمه إلى أقسام ثلاثة باعتبار كل قسم شهد من التحولات مايستحق أن يفرد له بنبذة خاصة.

أولا: الأندلس.

ذلك الفردوس الإسلامي الواقع في الطرف الجنوبي الغربي من القارة الأوروبية والذي بنى فيه المسلمون حضارة شامخة كتبت في التاريخ بمداد من ذهب بدأ يسقط من حوزة المسلمين طرفا طرفا ويدخل تحت حكم الأسبان بما في ذلك أهم المراكز الحضارية كطليطلة وقرطبة وأشبيلة. وجماعات كبيرة من سكانها قد جلت عنها إلى المغرب وتونس ولم يبق هناك تحت حكم المسلمين سوى قطعة صغيرة في الجنوب الغربي تكاد تنحصر بين غرناطة وبين المرية وجبل الفتح[2].

وكان يحكم البقية من الأندلس بنو الأحمر وكثيرا ما كانوا يتنافسون على الحكم ويتخاصمون عليه، إلى جانب هذا بذا ذلك التعاون القائم بين سلاطين المغرب وسلاطين الأندلس لمحاربة من يغير على

---

[1] درة الغواص في محاضرة الخواص، تأليف برهان الدين إبراهيم ابن فرحون المالكي.تحقيق كل من محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ نشرته كل من دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس. مطبعة التقدم ص:١١

[2] دراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري – دار الكتاب العربي طبعة ٣ سنة ١٩٦٧م، ص: ٥٤.

الأندلسيين تخف حدته مما سهل اقتطاع الأراضي الأندلسية إقليما إقليما، قبل من ذلك بدا الفريقان يشجعان الثورات كل في بلاد صاحبه[٣].

كل هذا على الرغم من أن المرينيين قاموا بمحاولات دحر هجمات اسبانيا وحلفائهم على الأندلس.

ثانيا: المغرب العربي.

هذه المنطقة من العالم الإسلامي تجزأت منذ انقراض دولة الموحدين إلى ثلاث دول تحكمها ثلاث أسر حاكمة، بنو مرين في المغرب الأقصى، بنو عبد الواد في المغرب الأوسط، بنو حفص في المغرب الأدنى.

كانت دولة بني عبد الواد أضعف هذه الدول الثلاث وأشدها تعرضا إلى الفتن والتقلبات لأنها كانت محصورة بين الدولتين الأخريين فكانت مضطرة إلى توزيع قواها على الجهتين، ولذلك كانت هذه الدولة في حالة مد وجزر تتوسع تارة وتتقلص أخرى، وكثيرا ما اضطر امراؤها إلى النزوح نحو الأقطار العربية الأخرى.

أما الدولة المرينية والدولة الحفصية فكانت أكثر استقرارا لكن رغم ذلك فقد سجل التاريخ منافسات ومنازعات بين هاتين الأسرتين وكثيرا ما كان السلاطين أنفسهم يوزعون بلادهم على أولادهم مما يقضي إلى أن يحاول كل توسيع حدود إمارته على الرغم من وشائج القرابة القائمة بينهم ويؤدي ذلك إلى مخاصمات و حروب ينتج عنها تكون دويلات مستقلة لا ترتبط بالدولة المركزية الابروايطاسمية.

وأحيانا ينتج التصدع عن ثورة بعض الوزراء على سلاطينهم وخلعهم أو بقتلهم ونصب أمير صغير محلهم ليمارسواهم الأمر والنهي

---

[٣] دراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري – دار الكتاب العربي طبعة ٣ سنة ١٩٦٧م، ص: ٥٤.

تحت غطاء الكفالة، وهكذا كانت القلاقل والاضطرابات تتولى بدون انقطاع[٤].

ثالثا : المشرق العربي.

لم تكن الحالة في الشرق بأحسن منها في المغرب فقد تعرض لنكبة كبيرة حين أباد المغول القادمون من الشرق الحضارة العربية الإسلامية باستيلائهم على بغداد وتدمير الكثير من ألوان الحضارة الإسلامية وتقدمهم بعدها إلى دمشق ثم الاستعداد للذهاب إلى مصر ولكن شاءت إرادة اللّه أن تنكسر شوكتهم في معركة عين جالوت وارتدادهم إلى الوراء، لكن رغم ذلك فلا زالوا يبذلون كل ما بوسعهم للوصول إلى مصر مما جعل العراك يدور رحاه في الشام بين المسلمين والتتار رغم سيطرة الآخرين عليهم، قال العلامة المؤرخ ابن خلدون وهو يؤرخ لهذه الفترة : " ... فانتظمت ممالك الإسلام في أيدي ولد جنكيزخان من المغل ثم التتار ولم يخرج عن ملكهم إلا المغرب والأندلس ومصر والحجاز ... واستمر الأمر على ذلك لهذا العهد ..."[٥].

وقد حلت بالشام نكبات حين أغار تيمورلنك على العراق العربي وجزيرة النهرين[٦]، لكن مجريات الأمور رغم ذلك بدأت تسير وجهة أخرى بتوالي انتكاس التتار داخليا بافتراق دولتهم وخارجيا بظهور الدولة العثمانية.[٧]

أما المشرق العربي فيمتاز داخليا بنوع من الاستقرار إذ كانت مصر والحجاز والشام تحت حكم المماليك وان كان موت السلطان كثيرا ما

---

[٤] خلاصة تاريخ العرب سيديو مطبعة دار الاثار ص: ٢٠١، الفتح المبين في طبقات الاصولين عبد الله مصطفى المراغي الناشر محمد دمج بيرت لبنان ٢/١٠٠، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ساطع الحصري، ص: ٥٦،٥٧.

[٥] تاريخ ابن خلدون للعلامة عبد الرحمان ابن خلدون دار الفكر ط: الاولى، سنة ١٩٨١م، ٧/٧٢٦.

[٦] خلاصة تاريخ المغرب سيديو مطبعة دار الآثار، ص: ٢٧١.

[٧] تاريخ ابن خلدون للعلامة عبد الرحمان ابن خلدون ٧/٧٢٦، حديث القرون الهجرية لمحمد بنعياد مطبعة الأنباء ص: ٣٨.

يحدث أزمات سياسية غير أنها تبقى بوجه عام محصورة بين المماليك ولا يشترك فيها السكان[٨].

فالجو في مكة والمدينة يتسم بالهدوء والاستقرار غالبا إلا أنه بين الحين الآخر، يظهر حدث مقلق ناجم عن تآمر الأمراء من الإخوة وأبناء العمومة، من الأسرتين الحاكمتين بكل من مكة والمدينة، بحيث يطغى بعضهم على بعض، فيتأثر أهل المدينة على قدر صلتهم بالأسرة الحاكمة، كما كانت بعض الهجمات تصيب القريبين والبعيدين عن الصراعات، إلى درجة يتهدد بها الأمن، وتسفك الدماء، ويسقط القتلى.

المطلب الثاني: عصره اجتماعيا.

الحياة الاجتماعية لا تسير إلا وفق سير الحياة العامة لمجتمع ما، وقد رأينا ذلك متمثلا في الحياة السياسية.

ففي الأندلس بدأت الهجرة نحو المغرب فرارا من مضايقات الإسبان كما ساد جو من الخوف والترقب الأندلسيين المنضوين تحت لواء مملكة غرناطة لشعورهم بخطر الانقضاض يهددهم.

وفي المغرب العربي فالناس في تشتت مهول اذ العشائر العربية والبدوية تستخدم كقوى لإيقاظ نيران الفتن والحروب[٩]. رغم ما وجدنا من نشاط اجتماعي في ظل السلطان أبي عنان المريني كبناء المدارس والمصانع[١٠]، وفي المشرق لازال الناس يموجون ويمرجون في الفوضى الناتجة عن الحروب التي مرت هناك والذي كان من نتائجه تلاقي أجناس وأعراف وعادات وديانات كونت خليطا من المتضادات كان منها تلاقح بالأخذ والعطاء بكيفية من الكيفيات، ومن جهة أخرى فإن تلك الفتن خلطت بين الأمصار الإسلامية نتج عنه خلط نفسي وفكري واجتماعي في شتى الميادين.

---

(٨) دراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري، ص: ٦٣.

(٩) دراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري، ص: ٦١.

(١٠) حديث القرون الهجرية لمحمد بنعياد ص: ٣٨.

أما الحجاز موطن مترجمنا فعلى الرغم من انه محاط دائما بهالة من الاحترام سياسيا إلا إنه تعيش ظروفا اجتماعية خاصة من حيث تركيبة السكان فيها خصوصا في المدينة المنورة إذ يعيش فيها مسلمون سنيون وشيعيون وكان التطاحن قائما بينهم منذ زمن طويل لسيطرة الشيعة على الحكم هناك وتهميش السنة بما فيها مذهب إمام دار الهجرة[١١]، وربما يكون هذا الوضع هو الذي حدا بابن فرحون حين تولى القضاء إلى إظهار مذهب مالك فيها بعد أن كان خاملا مدة طويلة[١٢].

المطلب الثالث: عصره فكريا.

أما الحياة الفكرية فتنطلق في نشاط تتواصل به سنة تطور المعرفة، ويتسلسل به السند العلمي الذي يحرص الأعلام والطلبة عليه أشد الحرص، باعتباره ميزة لهذه الأمة ومن مقومات كيانها [١٣]حيث كان أهل المدينة ينصرفون إلى العلم والعبادة في حالة الاستقرار والهدوء.وبسبب ذلك الإقبال نشأت المدرسة الفقهية في المدينة، ونبع في حضنها الفقهاء السبعة وغيرهم.وبفضل الصلة القوية التي كانت تربط الحجاز بالعواصم وبالناس، فقد كان محط الرحال الذين كان همهم الاتصال بالشيوخ والأخذ عنهم ومناظرتهم والسماع منهم وكذا قراءة مؤلفاتهم ومقابلتها، بحيث لم يكن بعد المسافة حائلا دون هذه الرحلات[١٤].

ونظرا لمكانة الحجاز والمدينة في قلوب الناس فقد كان مهوى الأفئدة وقصد المحبون والتجار وقبلة الحجاج والمعتمرون.وهكذا استطاعت المدينة المنورة أن تجذب المسلمين حتى أغرت غيرهم .

---

(١١) تبصرة الحكام لابن فرحون بهامش فتح العلي المالك. دار الفكر ٤١٨/١.

(١٢) مالك حياته وعصره أرائه وفقهه محمد أبو زهرة دار الفكر العربي ص: ٣٨٢.

(١٣) درة الغواص في محاضرة الخواص، تأليف برهان الدين إبراهيم ابن فرحون المالكي.تحقيق كل من محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ نشرته كل من دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس. مطبعة التقدم ص:١١

(١٤) درة الغواص في محاضرة الخواص، تأليف برهان الدين إبراهيم ابن فرحون المالكي ص : ٤ بتصرف.

كل هذا جعل المدينة المنورة تحظى بمكانة اجتماعية في قلوب كل من زارها وتشويق الآخرين إلى زيارتها.

وخلاصة القول انه على الرغم من النشاط العلمي المتمثل في التدريس والتأليف والذي غلب عل ى القرن الثامن إلا أن شمس الاجتهاد قد احتجبت رغم ظهور بعض المجتهدين من العلماء كابن تيمية وغيره ممن أطلقوا لقولهم حرية التفكير والقول بما يؤدي إليه اجتهادهم وتفكيرهم لكنهم تعرضوا لمحن شديدة[١٥].

المبحث الثاني: ترجمة ابن فرحون.

المطلب الأول: ولادته واسمه.

كانت ولادة إبراهيم بن علي بن محمد بن أي القاسم بن محمد بن فرحون[(١٦)] اليعمري الأياني ثم الجياني الأصل المالكي[(١٧)] الشيخ الإمام العمدة الهمام، أحد شيوخ الإسلام وقدوة العلماء الأعلام وخاتمة الفضلاء الكرام[(١٨)] بالمدينة المنورة. وكان يعرف ببرهان الدين ويكنى بأبي الوفاء[١٩]. لكن اختلف في تحديد سنة ميلاده بين المترجمين اختلافا بينا، حيث نجد منهم من أشار إليها بصفة تقريبية ،ومنهم من عينها،ومنهم من أغفلها ولم يذكرها.

وممن أشار إليها عمر رضا كحالة في المعجم الذي ذهب إلى أنها سنة ٧١٩هـ،فيما يذهب الأحمدي أبو النور في درة الحجال إلى أن ولادته

---

(١٥) الفتح المبين في طبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي الطبعة الثانية الناشر محمد أمين دمج وشركائه بيروت لبنان ٩٩/٢.

(١٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد خان،نشر: مطبعة مجلس دارة المعارف الثانية، حيدر أباد، الهند، الطبعة الثانية، سنة : ١٩٧٢م. ٥٢/١.

(١٧) – معجم المطبوعات العربية والمعربة: جمعه ورتبه يوسف إلياس سركيس مطبعة سركيس وأولاده بمصر سنة١٣٤٦ هـ ١٩٢٨م، ٢٠٣/١.

(١٨) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية تأليف العلامة أحمد بن محمد مخلوف المطبعة السلفية – ومكتبتها،القاهرة ١٣٤٩هـ، ص٢٢٢.

(١٩) – القاضي برهان الدين وجهوده في الفقه المالكي للأستاذة ناجية أغرابي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ، ص:٤١.

كانت بعد سنة ٧٣٠هـ بقليل[٢٠].وهذا ما أشار إليه أيضا السخاوي في "التحفة اللطيفة"حيث قال:"ولد بعد الثلاثين وسبعمائة بيسير بالمدينة النبوية ونشأ بها"[٢١].ويذهب (هوبكنير) إلى أنها كانت حوالي عام ٧٦٠هـ ٧٦٠هـ الموافق ١٣٥٨م،وإذا اعتمدنا على تاريخ وفاته الذي يذكر أغلب المترجمين أنه كان سنة ٧٩٩هـ،وذلك بعد أن عاش حوالي سبعين سنة يمكن أن نقول والله أعلم أنه ولد سنة ٧٢٩هـ.

المطلب الثاني : نسبه وأسرته.

يرجع نسب برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن نور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون إلى يعمر بن مالك المنحدر من ربيعة بن معد بن عدنان القرشي[٢٢]. وقد نبغت أسرة آل فرحون في فنون علمية كثيرة، خصوصا في علم القضاء.فقد تولى أفراد هذه الأسرة القضاء بالمدينة في القرن السابع والثامن والتاسع، فانتصروا للمظلوم وواسوا الفقراء، وحرروا العبيد وانتصروا لأهل السنة[٢٣].

وكان برهان الدين وأسرته من الذين هزهم الشوق إلى البقاع المقدسة، وحركهم الحنين إلى المجاورة بالمدينة المنورة،...وهم من أصل تونسي[٢٤]،وهذا ما يظهر في ترجمة والده أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون اليعمري التونسي الأصل المدني المولد والمنشأ[٢٥].

---

(٢٠) درة الغواص في محاضرة الخواص،تأليف برهان الدين إبراهيم ابن فرحون المالكي.تحقيق كل من محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ نشرته كل من دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس. مطبعة التقدم. ص:١٦-١٧ بتصرف.

(٢١) - القاضي برهان الدين وجهوده في الفقه المالكي للأستاذة ناجية أغرابي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ، ص:٤٣.

(٢٢) -درة الغواص ص:١٥-١٦.

(٢٣) - القاضي برهان الدين وجهوده في الفقه المالكي للأستاذة ناجية أغرابي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ، ص:٤٢.

(٢٤) -درة الفواص ص:١٣.

(٢٥) -شجرة النور الزكية ٢٠٤/١.

وقد أشارت كتب التراجم إلى أفراد من أسرة آل فرحون اشتهروا بعلمهم ومن بينهم:

- ✓ أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون اليعمري التونسي الأصل المدني المولد والمنشأ الإمام الفقيه العالم بفنون العلم العارف بالحديث وأسماء رجالة المسند،أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب ومنهم: والده وعز الدين الرندي وابن جابر الوادي آشي(٢٦). رحل إلى مصر والمغرب سنة ٧٣٠ هـ فأخذ الفقه بتونس على القاضي أبي إسحاق بن عبد الرفيع المتوفى سنة ٧٣٣هـ و بفاس أخذ عن أبي العباس أحمد القباب المتوفى حوالي ٧٨٠هـ(٢٧).
- ✓ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم: وهو عم المؤلف، وهو الذي يقول عنه آثير الدين بن حيان شيخ عصره في النحو"ما ظننت أنه يوجد بالحجاز مثل هذا الرجل".كان أحد أئمة الإسلام،مصابيح الظلام روى وسمع الحديث بالمدينة على والده وأبي عبد الله محمد حريث البلنسي ثم السبتي، وشرف الدين الزبير الأسواني سراج الدين الدمنهوري وابن جابر الوادي آشي وغيرهم(٢٨).

ووالدة القاضي برهان الدين شريفة وكذا أم أبيه،((٢٩)) وتنحدران من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهما شريفتان، كما أفاد عمه أبو محمد عبد الله في تاريخ المدينة.(٣٠)

المطلب الثالث : صفاته وأخلاقه .

نوه المترجمون بما كان يتحلى به ابن فرحون من صفات بعضها يعطينا صورة عن طباعه ومنها أنه كان حلو المنظر بعيدا عن التصنع

(٢٦) -شجرة النور الزكية ٢١١/١.
(٢٧) - درة الغواص ص:١٤.
(٢٨) -شجرة النور الزكية ٢٠٤/١.
(٢٩) - نيل الابتهاج بتطوير الديباج بهامش الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون: للتمبكتي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، طبع بدار التراث القاهرة. ص:٣٦.
(٣٠) درة الغواص ص:١٦.

والرياء من ارق أهل زمانه طبعا وألطفهم عبارة. وأنه كان لهيئته جمال ولقامته اعتدال يبهران الناظر رغم أنه لم يكن متهما باختيار الثياب الأنيقة المصقولة. وإنما كان يلازم لباس العلماء في عهد المتمثل في الطيلسان الذي يكسو الجسم و العمامة التي تعلو الرأس.[31]

وكان رحمه الله فصيح القلم كريم الأخلاق[32].كثير الأوراد والتلاوة يحيي أخر الليل بهما إلى أن توفي،كان يلازم بيته، قليل الاجتماع بالناس.

ومن الصفات التي تعطينا صورة عن مستواه العلمي أنه كان واسع العلم فصيح القلم ذا بيان، وأنه كان عالما وأصيلا وكان من أهل التحقيق جامعا للفضائل، فريد وقته...عالما بالفقه والنحو والأصول والفرائض والوثائق وعلم القضاء، وعالما بالرجال وطبقاتهم مشاركا في الأسانيد))[33] ((كانت له عناية بالعلم وولي قضاء بلده[34].

المبحث الثالث: النشأة العلمية لابن فرحون، وتكوينه الفكري.

ولد ابن فرحون بالمدينة ونشأ بها في حضن أسرته التي اشتهرت بالعلم فكانت له أول مدرسة لا يسودها إلا روح العلم،متأثرا فيها بروح التدين والجد،وقد كان أبوه وعمه وجده من أبرز علماء المالكية في الحجاز ينشرون فقهها.

المطلب الأول: شيوخه .

أخذ برهان الدين علمه على يد مجموعة من الشيوخ، نذكر من أبرزهم:

- شمس الدين أبو عبد الله محمد القيسي الوادي آشي، الأصل التونسي،المولد والاستيطان المعروف بابن جابر صاحب الرحلتين وإمام المحدثين الفقيه المسند الرواية المتفنن النظار،تحمل العلم من أهل المشرق

(٣١) درة الغواص ص:٢٠.
(٣٢) شجرة النور الزكية ص:٢٢٢.
(٣٣) درة الغواص ص:٢٠.
(٣٤) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي مطبعة القدس مصر سنة ١٩٤٩، ٥٤٥/٨.

والمغرب،أخذ عنه برهان الدين بن فرحون وأقرأ وحدث بالحرم النبوي سنة ٧٤٦هـ،مولده سنة٦٧٣هـ وتوفي سنة٧٤٩هـ.[٣٥]

- الحافظ أبو عبد الله الجمال المطري الذي أخذ عنه موطأ الإمام مالك بن أنس والصحيحين وسنن أبي داود وابن ماجة وغيرهما[٣٦]،وتفرد عنه بسماع تاريخ "المدينة"[٣٧].
- محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، الفقيه المالكي ولد بتونس ليلة ٢٧ رجب سنة ٧١٦هـ.ذكره صاحب النيل وقال بأنه اجتمع به ابن فرحون في حجة سنة اثنين وتسعين[٣٨].
- الشرف الأهبوطي قاضي المدينة وخطيبها، وقد أخذ عنه ابن فرحون الموطأ والبخاري وجامع الأصول والملخص وتأليف الطرطوشي[٣٩].
- الشرف الأسواني الذي أخذ عنه الشفاء وصحيح مسلم ودلائل النبوة.[٤٠]

ومن شيوخه أيضا البدر الأقشهري والجمال الدمنهوري وابن جابر الهراوي.

المطلب الثاني : الآثار العلمية لابن فرحون.

الفرع الأول: تلامذته.

لقد شاع علم ابن فرحون في جميع الأنحاء وذلك بسبب رحلاته التي كان يقوم بها من أجل تبليغ العلم وتدريسه، ومن الصعب ذكر جميع من أخذ عن برهان الدين بن فرحون، لذلك سأقتصر على ذكر بعضهم

(٣٥) شجرة النور الزكية ص:٢١١.
(٣٦) درة الغواص ص:١٨.
(٣٧) معجم المطبوعات العربية١/٢٠٣.
(٣٨) القاضي برهان الدين وجهوده في الفقه المالكي للأستاذة ناجية أغرابي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ، ص:٥٥.
(٣٩) نيل الابتهاج بتطوير الديباج بهامش الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون: للتمبكتي، تحقيق محمد الاحمدي أبو النور، طبع بدار التراث القاهرة، ص:٣٥.
(٤٠) نفس المصدر ص:٣٥.

- أبو اليمن محمد بن برهان الدين بن فرحون المدني،ذكره صاحب الشجرة وصاحب الفتح المبين من ضمن الذين أخذوا عن ابن فرحون. ومحمد أبو اليمن فقيه عليم مؤلف المسائل الملقوطة التي جمع فيها فروعا حسنة وقد وصفه صاحب الشجرة ب:"الإمام العمدة النبيه القدوة ،من بيت فضل وعلم وعدالة"[٤١].
- أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي الأندلسي،ذكر صاحب التحفة اللطيفة "أنه كتب بالإجازة عن ابن فرحون،وأذن له في حمل جميع مروياته وما له من نظم ونثر.
- محب الدين أبو البركات محمد بن أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي[٤٢].ذكره السخاوي ضمن الذين أخذوا عن ابن فرحون،قال صاحب الشذرات:اجتمعت به وصليت خلفه مرارا، وكان أعرج لأنه سقط فانكسرت رجله.[٤٣]

الفرع الثاني : مؤلفاته.

تفقه ابن فرحون وبرع وصنف وجمع مجموعة من المؤلفات بعضها قال عنها العلماء إنه لم يسبق إلى مثلها، وبعضها الآخر قالوا أنها غزيرة الفوائد كما وصفوا بعض كتبه فقالوا عنها:أنفس ما ألف في مجالها.ومن بين هذه المؤلفات:

- "تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام" وهو الكتاب الذي تقوم عليه هذه الدراسة، قال عنه صاحب الشجرة:لم يسبق لمثله وفيه من الفوائد ما هو معروف[٤٤]، وقال صاحب إنباء العمر عند حديثه

(٤١) القاضي برهان الدين وجهوده في الفقه المالكي للأستاذة ناجية أغرابي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ، ص:٧٢.
(٤٢) -شذرات الذهب ٥٨٢/٨.
(٤٣) -شذرات الذهب٥٨٣/٨.
(٤٤) -شجرة النور الزكية ص:٢٢٢.

عن ابن فرحون: وألف كتابا نفيسا في الأحكام [٤٥]. وقال إدوارد: أوضح فيه بعبارة بسيطة جلية ما هي وظيفة القاضي المالكي[٤٦].

● " الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب " وهو كتاب جمعه في نحو عشرين كتاب [٤٧]وفيه نيف وثلاثون وستمائة نفس [٤٨]وقد ترجم فيه لإمام المذهب مالك بن أنس ولطبقات مذهبه من مختلف الأمصار التي انتشر فيها هذا المذهب...وقد اعتمد الدكتور محمد الأحمدي أبو النور أن هذا الكتاب من الاختصارات التي قفت على أثر المدارك ودرجت في طريقه ، وكان إتمام تاريخه سنة ٧٦١هـ ١٣٦٠م. ويقول كودرا: إنه نقح سنة ٨٧٥هـ وطبع بفاس سنة ١٣١٦هـ وبالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ ، وظهرت طبعة جديدة لهذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبي النور مدرس الحديث بجامعة الأزهر[٤٩].

●شرح مختصر ابن الحاجب سماه "تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات " وهو كتاب مفيد غاية الإفادة ،جمع فيه كلام عبد السلام و ابن راشد وابن هارون وخليل وغيرهم من الشراح مع التنبيه على مواضع كلامهم وزوائد من غيرهم مما لا غنى عنه في ثمانية أسفار ((([٥٠]))).

●درة الغواص في محاضرة الخواص لم يسبق إلى مثله، موضوعه هو الألغاز الفقهية وهو كتاب من الحجم المتوسط يقع في جزء واحد، قام بتحقيقه محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ وطبعته دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس. أما من ناحية مضمون هذا الكتاب فإنه يتناول الألغاز التي تتعلق بكل من قسم العبادات وقسم المعاملات وقسم الحدود.

---

(٤٥) معجم المطبوعات العربية والمعربة: جمعه ورتبه يوسف إلياس سركيس مطبعة سركيس وأولاده بمصر سنة١٣٤٦ هـ، ١٩٢٨م، ٢٠٣/١.

(٤٦) – اكتفاء القنوع عما هو مطبوع لفنديك، ادوارد، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، سنة ١٤٠٩، ص: ١٥٢.

(٤٧) نيل الابتهاج بتطوير الديباج بهامش الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون: للتمبكتي، تحقيق محمد الاحمدي أبو النور، طبع بدار التراث القاهرة، ص ٣٥.

(٤٨) شجرة النور ص ٢٢٢/النيل ص٣٥.

(٤٩) درة الغواص ص ٢٢-٢٣.

(٥٠) نيل الابتهاج بتطوير الديباج بهامش الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون: للتمبكتي، تحقيق محمد الاحمدي أبو النور، طبع بدار التراث القاهرة، ص٣٥ .

- " كشف النقاب الحاجب عن مصطلح ابن الحاجب" وهو كتاب يقع في جزء واحد من المتوسط يضم ٢١١ صفحة حققه الأستاذ حمزة أبو فارس والدكتور عبد السلام شريف ، وطبعه دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة ١٩٩٣ [٥١]وهو مقدمة لشرحه مختصر ابن الحاجب المذكور أفردها في كتاب مستقل تلبية لرغبة بعض إخوانه [٥٢]، ومن حيث الموضوع فإن هذا الكتاب يتناول مجموعة من المصطلحات الفقهية بالشرح والتوضيح و التعليق [٥٣].
- "إرشاد السالك إلى أفعال المناسك" وموضوعه من فقه العبادات يتعلق بمناسك الحج[٥٤].ظهرت في طبعته الأولى سنة ١٩٨٩م .
- "كتاب المنتخب في مفردات ابن البيطار " و موضوعه الطب والأدوية والمفردة.
- "بروق الأنوار في سماع الدعوى " ومنه نسخة بالمتحف البريطاني ، ولم يكمل ولا تعرف نسخه [٥٥].
- كتاب في الحسبة.
- "اختصار تنقيح القرافي" وقد سماه " اقليد الأصول".

وكل تآليفه غاية في الإجادة لاتساع علمه.[٥٦]

الفرع الثالث: وفاته .

عاش برهان الدين ابن فرحون في الدنيا عيشة الضيوف الغرباء، فقد كان همه خدمة العلم فقط، ولم يهتم بجمع المال، ولم تغريه الدنيا بشهواتها، فلم يملك دارا ولا نخلا، وإنما كان يسكن بالكراء ويأكل

(٥١) –القاضي برهان الدين ص: ٢٥٣.
(٥٢) – درة الغواص ص ٢٤.
(٥٣) – القاضي برهان الدين وجهوده في الفقه المالكي للأستاذة ناجية أغرابي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ، ص: ٧٦.
(٥٤)–درة الغواص ص: ٢٥.
(٥٥) – القاضي برهان الدين وجهوده في الفقه المالكي للأستاذة ناجية أغرابي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ، ص: ٧٦.
(٥٦) – شجرة النور ص٢٢، نيل الابتهاج ص: ٣٤.

بالسلف والدين مع كثرة عياله [٥٧]، فاضطر أن يمد يده ليتسلف ما يسد به الرمق، حتى تراكمت الديون على كاهله [٥٨]، ومات عن دين كثير، وكانت وفاته يوم عيد الأضحى من ذي الحجة سنة تسع وتسعين وسبعمائة.[٥٩] الرابع سبتمبر سنة ١٣٩٧م[٦٠]، عن نحو من سبعين سنة، وهو ما ذهب إليه أغلب المترجمين، فاضت روحه الطاهرة بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع[٦١].

فرحم الله ابن فرحون رحمة واسعة، ونفع بكتبه وجعلها في ميزان حسناته، فقد مات رحمه الله، عاشت عطاءاته تتوارثها الاجيال جيلا بعد جيل، وصدق فيه قوله عليه الصلاة والسلام: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به"[٦٢].

ويقول صادق الرافعي: "إذا لم تزد شيئا في هذه الدنيا فأنت عليها زائد".

فالله اسأل أن يوفقنا لحب العلم وطلبه وأن يفتح بصائرنا إليه، ويعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعنا به آمين. والحمد لله رب العالمين.

---

(٥٧) نيل الابتهاج ص ٣٦.

(٥٨) – درة الغواص ص ٢٧.

[٥٩] شجرة النور ص ٢٢٢.

[٦٠] توشيح الديباج وحلية الابتهاج لبدر الدين القرافي ت، ٩٤٦هـ، تحقيق ةتقديم أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، ط ١ ، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م، ص: ٤٥.

[٦١] شذرات الذهب ٣٥٧/٦.

[٦٢] متفق عليه.